التواصل بين التراث العمراني والتصميم الحضري المعاصر

المهندس عادل سعيد هادي العبيدي
مدرس- قسم الهندسة المعمارية
الجامعة التكنولوجية

خلاصة البحث

العمارة هي نتاج حضاري يجسد فكر الإنسان ، ماضيه و حاضره ومستقبله من خلال استخدام رموز وأشكال وحلول معمارية لتلبية الحاجات الإنسانية.

ولأجل أن يكون النشاط المعماري المعاصر مرتبطا بزمانه ومكانه وملبياً لمتطلبات مجتمعه ، عليه أن يتواصل مع تراثه العمراني الغني ، باعتبار أن هنالك حقيقة جوهرية تتمثل بترابط حلقات الزمن : الماضي ، والحاضر ، والمستقبل.

إلا أن الهوية القومية والمحلية للبيئة العمرانية وبفعل المتغيرات والتطورات السريعة التي طرأت على العالم ، بدأت تعاني من اضمحلال وانحسار الخصوصيات الذاتية (القطرية،والإقليمية) ، تحت وطأة غزو التيارات المعمارية الدخيلة ، وانسياق بعض المصممين المعماريين والحضريين الى تقليد هذه التيارات على علاقتها بدعوى التواصل مع الحداثة والتطور ، مما أوجد حالة من التناقض والإرباك في البيئة العمرانية المحلية وفقدان لهويتها ، وانقطاع عن التواصل مع تراثها الغني .. ويمثل ذلك المشكلة الأساسية التي يسعى البحث الى مناقشتها وإيجاد الحلول لها.

لذا فقد استهدف البحث تشخيص المعوقات والمشاكل التي تواجه النشاط المعماري المعاصر فيما يخص موضوع التواصل مع التراث العمراني ، مستقصيا لصيغ التواصل المحتملة والممكنة معه من خلال نظرة تحليلية و متجددة لمفاهيم ومبادئ التواصل بيت التراث العمراني والتصميم الحضري المعاصر ، ومحددا لدور المعماري في التعبير عن هذا التواصل ، سعيا لتثبيت خطوات أولية لتلمس هويتنا المحلية وطموحاتنا في مجال إعداد تصاميم حضرية متطورة تتلاءم مع متطلبات وروح العصر، وتتواصل مع مفاهيم ودلالات موروثنا المعماري الغني ومعاني فكرنا المعاصر.

١. مقدمـــة

تعتبر العمارة (مرآة للحضارة) ، فـــهي تعـبر تعبيرا صادقا عن المستوى الحضاري للأمـــم وســجلا تاريخيا لتطورها عبر الزمن ..وبما أن العمارة تعنـــي بتكوين البيئة العمرانية للمجتمع ، لـــذا فـــهي تعكـس مفاهيمه وقيمه الفكرية والبيئة والوظيفية ، على هيئـــة أشكال ورموز ذات دلالات تعبيرية ، ومن خلال الكيفية التي تتم بها معالجة الحلول الوظيفية والجمالية.

ولأجل أن يكـون عملنـا المعمـاري ملبيـا ، لمتطلبات المجتمع وحاجاته الإنسانية ، ومعـــبرا عـن خصوصياته وهويته الذاتية ، لذا عليـــه مـد جسـور التواصل بين تراثنا المعماري الغني وحاضرنا المتطور ، الذي يشكل بدوره ضمانة أصلية لاستشراف المستقبل وتقبله بثقة عالية ومتوازنة وغير مشوهة.

تتلخص **مشكلة البحث** بأن أوضـــاع العمـارة العربية تواجه العديد من المشاكل والمعوقات بخصوص التواصل مع التراث العمراني ، وذلك لأسباب مختلفـــة ومتعددة ، تمثلت أهمها باكتساح التيـــارات المعماريـــة الجديدة (الغربية خصوصا) ميادين العمـــل المعمـــاري بشكل سريع بحيث لم تتح الفرصة لبعض المعمـــاريين من تحليل المفاهيم والأفكار الوافدة وتقويمـــها بـــهدف انتقاء النافع منها ، فأدى تقليدها المباشر الـــى حـدوث حالة من التناقض بين مفردات مادية او فكرية وجـــدت وانبثقت مـــن واقـــع ثقـافي واجتمـاعي وحضـاري واقتصادي معين ، لتستقر في بيئة مختلفة عنها تماما.

وإزاء هذه الحالة ، ولأجل أن يحدث التفـــاعل والتواصل الصحيح والمتوازن بين حلقـات المؤثـرات الوافدة والموروثة ، يتطلب البدء برسم صورة واضحـة لما نريده لمستقبلنا من خلال الإستفادة من كل إمكانـات التطورات التقنية الحديثة ، والتواصل مع أجود ما فـــي تراثنا العمراني لعكس فكرنـــا المعـاصر ، والبحـث بأسلوب علمي لتحديد صيغ التواصـــل بيـن الـتراث والمعاصرة ، وتأشير بعض المفاهيم والسـياقات التـي تساعد على تحقيق هذا التواصل ، **وهو ما يهدف اليـه هذا البحث.**

٢. معنى التواصل في العمارة

تقوم بعض الافكار الفلسفية المعاصرة علـــى أساس ان التعايش الإنســاني ممكـن فقـط بواسـطة التواصل وإيصـــال النوايـا والرغبـات والحسـيات والمقاصد الى الآخرين ، عن طريق رمـــوز اللغـات التواصلية المختلفة . ومن تلك اللغات المتعددة اللغتـان الكلامية والمعمارية[١] واللغة بموجب الفلسفة البنيوية ، هي أداة تواصل تعتمد على عناصر أساســية ، كمـا يعتمد جهاز (التلكس مثلا)، علـى بـاعث الرسـالة ، ومستلم الرسالة ، وعلى حـامل الرسـالة (الموجـات والسلك) ومضمون الرسالة . كذلك يعتمـد التواصـل على ان كل من باعث الرسالة ومستلمها يتحتم عليـهما ان يفهما فحوى نفس الرموز .. فالكلمة والبنـاء همـا رمزان تواصليان لا يمكن ان يفهما ما لم يكـن هنـاك معنى للكلمة والبناء ، فالعمارة بموجب الفلسفة البنيويـة وبعد البنيوية هي تواصلية (أسوة بـــالفنون الأخـرى) يقتضي ان يتم اتفاق علـى معانيـها ، ويشـمل ذلـك تراكيبها وخاصياتها ومدلولاتها.ان عمليـــة التواصـل والتفاعل الحضاري بين الأمم والأجيال المتعاقبة تجري وفق نهجين[٢]:

أولهما – التفاعلات الحضارية عبر المكـان (افقيـا) ، وتكون عادة على شـكل تداخـلات بيـن حضـارتين مختلفتين في مرتبة الرقي . لقد كان هذا النموذج مـــن التفاعل المكاني مقتصرا على الامم المتقاربة جغرافيـا. إلا ان التقدم السريع الحاصل في تقنيات المواصـــلات والاتصالات مكن من تجاوز المحددات الجغرافية .

والنهج الثاني للتواصل، هو التواصل عبر الزمان (عموديا) : حيث ان التفاعل مع حضارات حققت درجة اعلى من التقدم ، غالبا ما يكون هو الدافع للسعي لأستكشاف الموروث الحضاري عبر مراحل زمنية مختلفة وجعله منطلقا فاعلا لرسم خطط الحاضر وتطلعات المستقبل .

ولكي يحدث التواصل ، لا بد من وجود نظام للأتصالات يتمكن بواسطته افراد المجتمع من تبادل المعاني (من خلال قواعد معينة من الرموز) والتفاعل فيما بينهم ، وأدراك الظواهر والاحداث الزمنية التي لها تأثير معين على مجتمع ما دون غيره .. وان تطور نظام الاتصالات (في العمارة) يعتمد على وجود إطار مفاهيمي مشترك يستطيع من خلاله افراد المجتمع تحقيق كامل أفكارهم في العمارة والبيئة ، وبالاعتماد على صيغ المعاني والمعلومات والمقاييس الادراكية الحية المخزونة في ذاكرة الفرد وسجل التاريخ[٣] .

ويسهم تغير حاجات الانسان وتطور حضارته في تغيير مدى ونوع المعاني المدركة لفضاءاته وبيئته خلال عملية الإتصال ، وكذلك في تغير اسلوب فهمه واستيعابه للاجزاء التراثية لعمارته ، ويعطيها بعدا جديدا ، بحيث يخلق منها فضاءات جديدة بادراك المفاهيم الجديدة عبر الزمن ، ويمكن فهم ذلك على ان ربط الفضاء بالزمن يعطي المعنى ، وهذا الاخير يغير بدوره الاتصالات وشكل البيئة بتعيين حدود فيزياوية جديدة للفضاء وايجاد علاقات جديدة بينه وبين الانسان [٤].

٣. أهمية التواصل مع التراث المعماري

كانت العمارة ولا زالت وعاءا ماديا تحتوى فيه مقومات الحضارات بجوانبها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ، ولما كان الحاوي هو انعكاس للمحتوى ، فعندئذ يصح القول بأن المعالم العمرانية لأي مجتمع وفي أي زمن هو وسيلة تعبيرية صادقة عن مستوى تطور المجتمعات والشعوب [٥] .. فالعمارة نتاج حضاري يجسد فكر الإنسان، ماضيه وحاضره ومستقبله من خلال استخدام رموز وأشكال وحلول معمارية لتلبية الحاجات الإنسانية.

ان تكرار واستمرارية هذه الرموز والأشكال والحلول المعمارية يرسخ-مع مرور الزمن- ارتباطها مع المفاهيم التي تطرحها ، فتصبح بعد ذلك دلالات وقيم شبه مستقرة. ولكن هذا الاستقرار يجب ان لا يفهم انه حالة ثابتة وأزلية ، بل ظاهرة نسبية ، كالفرق بين (الموضات) العابرة والتقاليد الطويلة الامد نسبيا . وبما ان نسبة التطور والتغير الاجتماعي كانت أبطأ بكثير في الفترات التاريخية التي سبقت عصر الثورة الصناعية ، لذلك نرى ان المفاهيم والتقاليد كانت تتوفر لها فرصا افضل للاستقرار مقارنة بالفترات التي تلت هذه الثورة ، وكذلك- بصورة دراماتيكية في الوقت الراهن – عصر الثورة التكنولوجية والمعلوماتية-الذي يتسم بالتطور الفائق السرعة.

ولهذا السبب نرى ان من السهل نسبيا تحديد وتشخيص المفاهيم والقيم الجمالية في العمارة التراثية والتاريخية ، ومن الصعب نسبيا حصر مثل هذه الاعتبارات والقيم في العمارة المعاصرة. فبينما ظهرت مدارس وطرز كلاسيكية واضحة المعالم وملتزمة الى درجة كبيرة استمرت لمئات السنين سابقا ، لم تظهر خلال القرن الحالي – مع الاعتراف بوجود استثناءات معينه- سوى تيارات معمارية عابرة ، ونزوية يتجلوز اغلبها خصوصيات المكان وتطرح مفاهيماً تدويلية وقيما جمالية وايديولوجيات تتصف بالاستهلاكية والزوالية السريعة[٦].

ومن ناحية اخرى ، يجب ان لا يفهم بأن التغير السريع والتطور المتواصل الذي يحصل حاليا، على انه عامل سلبي بالضرورة ، لأنه لا يتيح الفرص

المواتية لترسيخ اية تقاليد او قيم معمارية او جمالية .. فبالتأكيد ان بعض هذه التيارات الجديدة ، وبالأخص ما بعد الحداثة (Post-Modern) والتفكيكية (Deconstruction) قد استباحت كل القيم السابقة للحركة الحديثة ، وسمحت لنفسها ان تجرب كل شئ تقريبا سعيا وراء الجديد، لأنه غير مألوف.. وكسراً للملل الذي يصيب كل ما هو مألوف.. لكنها، وبالرغم من كل ذلك ، تستغيث بالاستعارات التاريخية (الاشاراتية/السيميولوجية) لتحقق لنفسها شيئا من الشرعية والتعبيرية والتواصل التاريخي. مهما يكن الموقف من كل التيارات المعمارية الجديدة ، فان القيم الانسانية تبقى هي المحك الاساس في العمارة. وان أي تيار معماري مهما كانت طروحاته الفلسفية أو الجمالية، سوف لن ينجح او يتطور الا اذا كان مبنيا على أسس عقلانية او انسانية ، ويتواصل فكرا وانتماءا مع التراث العمراني للمجتمع وللامة.

إلا أن ما يؤسف له هو أن الهوية القومية والمحلية للبيئة العمرانية ، وبفعل المتغيرات التي طرأت على العالم أدت الى اضمحلال او تلاشي الخصوصيات الذاتية (القطرية والاقليمية) بفعل المؤثرات الخارجية عموما وتحت وطأة عولمة المفاهيم الغربية خصوصا..

ومن أجل التحصين إزاء هذا الغزو الفكري المعماري ، يتوجب ان يقف المصمم بذهن يقظ ، وإيمان راسخ، ومسار واضح يتفاعل ويتواصل بحذر وايجابية مع نفائس التراث العمراني الغني ومعطيات الحاضر وتطلعات المستقبل.

ان تطور الوعي في طلب التواصل مع التراث الحضاري والمعماري يمثل طريقة تفكير متطورة لتحقيق الذات ، وبهذه النظرة فقد اصبح التواصل ضروريا.. كما ان تحقيق الذات هو مرحلة متقدمة من الحاجات الانسانية [٧] ، والتعبير عنها يمثل مرحلة متميزة في التقدم.

فضلا عن ان هنالك مؤثرات عديدة تسهم في نشوء وتطور الوعي بضرورة التواصل مع التراث المعماري ، منها تطور القيم المعنوية والنفسية والحسية لدى المجتمع بتأثير تطورها التاريخي ، حيث يزداد الوعي بازدياد العمق التاريخي للحضارة، وبازدياد كمية الموروث المعماري وتفرد نوعيته.. وكذلك عند تعرض جزء من هذا الأرث والنسيج العمراني الى التلف بسبب ممارسات غير مدروسة.

ان التواصل مع التراث المعماري هو تفاعل مع خواص وسمات نسيج حضاري متكامل بكل اشكاله المادية ومضامينه المعنوية ، وليس تعاملا مع ابنية منفردة فحسب. حيث يتطلب ذلك نظرة شمولية ومبرمجة ، وهو ما يتم تناوله من خلال عملية التصميم الحضري للبيئة العمرانية بكافة مستوياتها (ابتداءا من تصميم مجاميع صغيرة من المباني وانتهاءا بقطاعات واسعة من المدينة) ، وهذا يتطلب ان يكون المصمم على دراية واسعة واستيعاب عميق للمفاهيم والمبادئ الأساسية لتحقيق التواصل في التصميم الحضري المعاصر.

٤. المبادئ الأساسية للتواصل في التصميم الحضري المعاصر

يعرف التصميم الحضري بأنه " خطة لتوفير بيئة حضرية تتميز بمعالجات لمتطلبات المجتمع الحضري العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والجمالية ، وصهرها تدريجيا خلال أمد طويل نسبيا في نظام مادي متماسك ، وهذا التنظيم التدريجي يمكن ان ينفذ وفق عملية تصميمية (ثلاثية الأبعاد) مستمرة ومرنة وديناميكية ، لكي يبقى التكوين العمراني على الدوام في مستوى حديث يتوافق مع الظروف الحياتية المتغيرة ".

أن من المبادئ الأساسية لتحقيق التواصل في التصميم الحضري المعاصر ، هي إدخال النظام العضوي الى البيئة الحضرية وإبقائها نابضة بالحياة باستمرار أثناء نموها العمراني، وينبثق هذا المبدأ من الحقيقة الكامنة في نمو أي كائن حي في الطبيعة .

وفق هذا المبدأ وتطبيقه على بنية البيئة الحضرية ، يتوضح أن الحيوية في كل المظاهر الحياتية تعتمد على طبيعة الفرد وكفاءة الارتباط (كما على نوعية النواة الحضرية وكفاءة النسيج الحضوي). وعلى هذا الأساس ، يجب أن يؤدي التكوين الشكلي المنفرد الى تعبير حقيقي عن المعنى الكامن في هذه الأشكال وفي الوقت نفسه ، تحقق الأشكال المنفردة ترابطا عضويا[٨].

إذاً هنالك مبدأين هما : التعبيرية ، والترابط ، يتممان المبدأ الأساس (مبدأ النظام العضوي) فمبدأ التعبيرية يفسر : أن أي ظاهرة شكلية في الطبيعة ما هي إلا تعبيرا حقيقياً عن المعنى الكامن ورائها. والهدف التصميمي هو لابد للمجتمعات المتمدنة أن تعبر ملامح أبنيتها المنفردة تعبيرا صادقا عن سكانها وثقافاتها وأزمنتها و أمكنتها مهما تكن تلك الأبنية متواضعة.

ومبدأ الترابط يذكرنا بحالة الترابط كما تبدو في الظواهر الطبيعية ... فكما تتجمع الأشجار والسفوح والوديان والمباني المختلفة معا في صورة واحدة متناسقة ، تعبر عن مشهد المحيط الخارجي (Landscape)، ومثلها كذلك المشهد الحضري (Townscape) .. كل هذه العلاقات تتحقق بمبدأ الترابط، وبدون هذا المبدأ لا يظهر الكون في بودقة من الارتباط .. فيجب أن ندرك ، وخاصة في التصميم الحضري ، أن انعدام مبدأ الترابط يسبب تراكمات غير متجانسة من الأشكال أو الكتل المعمارية وبالتالي الى تفكك النسيج الحضري.

ويعتبر (النظام العضوي) المبدأ الأساس الذي ينصهر فيه مبدأي التعبير والترابط. إذ أنهما لا يعملان على انفراد ، بل هما فرعان لمبدأ متكامل .. وبموجب تكامل المبادئ –آنفة الذكر– في التصميم الحضري ، تتجلى الظواهر الطبيعية وتعمل وتتطور الحياة. أما إذا انقطعت هذه الحالة وأصبحت أسباب التعبير والترابط عاجزة عن صد التفكك، فلا بد أن يسري التدهور ، وتنتشر المناطق المتهرئة والنسيج العضوي المتفسخ ، الذي يؤدي السرطان فيه الى الانهيار.

في ضوء هذه المبادئ الرئيسية يتمكن المصمم من إدراك أن النتائج الناجحة في تطور البيئة الحضرية انبثقت من الوعي الغريزي لهذه المبادئ (التعبيرية والترابط والنظام العضوي). أما النتائج الفاشلة فسببها انعدام هذا الإحساس ، وعندما يثار التساؤل عن كيفية توجيه نمو البيئة الحضرية نحو تعبيرية أفضل وترابط وتواصل أمتن ، فلا بد أن يكون الجواب .. (لا يمكن تحقيق ذلك ، إلا حين يفهم ويدرك المصممون الحضريون والعاملون معهم معنى هذه المبادئ ويغذوا أفكارهم بها) .

٥. دور المعماري في التعبير عن التواصل

أن علاقة الانسان بالعمارة وفعالياتها يكون بموقفين :

أولهما : الفاعل (Action Maker) وثانيهما : المتلقى (Recipient)

فالفاعل : هو فرد أو مجموعة أفراد ينجزون العمل المعماري من خلال ممارسة ذهنية، وفعل عملي تطبيقي ، وعليه فقد يكون الفاعل هنا (المعماري ، المهندسون الآخرون ، الباحث، المقاول والحرفي .. الخ).

أما المتلقي : فهو فرد أو مجموعة أفراد يتفاعلون حسيا وادراكيا مع العمارة[٩] ، منذ لحظة قيامها

وباستمرار تواصلي . فيمثل المتلقي (شاغل المبنى ، الناس المشاهدين ، المستفيدين.. الخ). وقد يتوحد الفاعل والمتلقي أحيانا حسب طبيعة العمارة.

والمصمم المعماري : هو فرد فاعل يخصه المجتمع بربط وتكامل عناصر تكوين العمارة بعملية تصميمية ، حيث يعطي لمعاني الاطار المفاهيمي المشترك هيئتها المادية بترجمتها الى الشكل من خلال نوعين من الصيغ والقواعد :

أ- قواعد مدركة فيزياويا ، وتمثل قواعد التعبير[١٠] أو الدلالات ، ومثالها(الحجم ، اللون، النسب ، القواعد التركيبية ، السطوح ، الفتحات ، وغيرها) وتمثل -الادوات- التي يستعملها المصمم.

ب- قواعد المحتوى المعبر عنه بالصيغ السابقة، وهي المدلولات (Signified) . وتكون على مستويين. مستوى مباشر (مثالها : الوظائف، القواعد التقنية ، المنظومات الخدمية). ومستوى غير مباشر (مثالها : القواعد الجمالية ، الافكار المعمارية ، الرموز الحضارية، المعاني المقصودة) .

وهكذا فان المهندس المعماري يأخذ المعاني من وجودها في الذهن ويعطيها وجودا ماديا، بما يؤثر في ذهن المتلقي ، ويحدث نفس المعنى في ذهنه هو أيضا. ولكي يستطيع تحقيق ذلك ، يجب عليه أن يستوعب الادراك المعاصر للمجتمع ولنواحي القواعد المعمارية وتماسه بها وتلبيتها لحاجاته.

فالمصمم يتمتع بالقابلية والمرونة والتجربة الذهنية التي تؤهله لتحقيق ذلك، والإضافة له كإبداعات ضمن شخصيته التصميمية في توليد المعاني الجديدة ونقلها الى المجتمع بتواصل ذا اتجاهين يستمران بمتوالية تصاعدية لتحقيق الإنجازات وتحفيز الإبداع.

ولان قيم الانسان وتطلعاته تتغير باستمرار ، فلن الحاجات الانسانية الاجمالية تتغير مثلما يتغير النظام الذي يهيكل تلك الحاجة .. وتبعا لذلك فان التغير في الشكل والمعنى حالة مطلوبة. وتعتمد علاقة التصميم بالتغيير الى حد كبير على مدى كونه تصميما واعيا أم خلاف ذلك . ففي العمارة الواعية التي ينتجها مصممون محترفون ، قد تحدث تغييرات مفاجئة (متفرقة أو متتالية) تؤدي الى قفزات بيئية نوعية ، مع ذلك يرى بعض الباحثين أن النشاطات العمرانية الشعبية (التي يؤديها عامة الناس) لها وقعها الكبير على تكوين البيئة الحضرية وبشكل أشد من وقع أعمال المصممين المحترفين[١١] .

أن كل فعل تصميمي (منظم بوعي) للبيئة العمراني ، يعتمد على وجود التوازن بين الخزين التراثي والنمو الجديد ، هو بداية لتقليد مستحدث ، ويشكل تواصلا في العمارة، ولضمان حصول ذلك لا بد من توفر عوامل أساسية هي[١٢]:

١- **المعرفة** : وتشمل ثقافة المعماري واطلاعه ومقدار تجربته الفنية والعلمية، وتتضمن معرفة المعلومات وتطبيقات الاداء والمعايير والمواصفات .. وكذلك المعرفة الذهنية للمعلومات التي تتعامل مع القواعد التصميمية والمعمارية ، وتتفاعل مع نظريات العمارة المتطورة ، وبنوعية وتصور الذوق الحسي.

٢- **الالتزام** : وهو تكوين حالة ضرورية للإبداع من خلال تظافر كامل القابليات في الإنجاز ، ويشمل ذلك : مجالات الممارسة المهنية وتحقيق المشاركة لمجموع الفاعلين والممارسين في مجال النقد والتقويم ، والاستجابة الاجتماعية المستمرة، ومجال التعليم المعماري.

٣- **التشريعات** : وتتضمن تحقيق الدعم من خلال أنظمة وقواعد تغني عمل المعماريين وتوحد مسارات جهودهم . وتشمل : قوانين البناء

والخطط العمرانية، وضوابط الممارسة المهنية ، وأنواع المساندة الاجتماعية والإعلامية.

٦- معوقات ومشاكل التواصل في العمارة وأسبابها

هنالك العديد من المشاكل والمعوقات التي يعاني منها النشاط المعماري المعاصر العربي (والعراقي) فيما يخص موضوع التواصل مع التراث العمراني ، وكذلك الأسباب التي أدت الى هذه المشاكل ، ومن الصعوبة حصرها والدخول في تفاصيلها لاعتبارات عديدة منها التعقيد في العلاقات القائمة بين المشاكل والأسباب . وسنورد فيما يلي بعضا منها بصورة موجزة وعلى سبيل المثال :

أ. لجوء العديد من المصممين المعماريين والحضريين ، وفي معظم الحالات ، الى تقليد حضارة الغرب بشكل أو بآخر دون مراعاة للعوامل الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والثقافية، وقد أدى ذلك الى مشكلة أساسية ، هي النزاع بين الوسائل والاحتياجات، التقليدية والمعاصرة للمجتمع العربي ، وبين الوافدة من المصادر والمدارس الفكرية المعمارية الغربية[١٣]. وأصبحت أوضاع العمارة العربية وكأن المجتمع في إطار بيئة عمرانية مفروضة عليه قسرا ، لا تتناسب وصعيد العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة والظروف المناخية والطبيعية.

ب. هنالك من المصممين من يرى أن معظم الوسائل والإمكانات التي تستعملها العمارة العربية المعاصرة ، والتي تؤثر بشكل أساس ومباشر في تخطيط وتصميم المدن والمباني ، هي ليست من صنع المجتمع العربي . وبالتالي فان استقبالها وإدخالها مع ما تحمله من مشاكل أخرى أساسا يشكل عبئا آخرا دون أن تهيأ الإمكانات لمواجهة هذه المشاكل أو الحد منها[١٤].

ج- اختلاف حاجات المجتمع قديما وحديثا ، وتطور التقنيات ، والاحتكاك بالغرب ، والتفاعل معه تكنولوجيا ، أدى الى اختلاف المجتمع العربي فكرا وطموحا وموارد[١٥].

د- وجود حالة من التطرف في النظرة الى التراث العمراني والعمارة المعاصرة لدى بعض المصممين .. فالبعض يعشق العودة الى التراث ، ويدعو الى استثماره وفق صيغ أصولية في النسخ والتكرار .. والبعض الآخر يجيز لنفسه استنساخ أو تقليد التيارات المعمارية الجديدة التي تظهر في المجتمع الغربي على علاتها بدعوى الحداثة وما بعدها .. أن كلا الحالتين تمثلان نظرة ضيقة وغير متبصرة وحالة اقتباسية تعطل الإبداع في فكر المصمم.

هـ- هنالك عدد غير قليل من المعماريين ممن ليس لديهم القدرة أو الفهم على تمييز الفرق بين التركيب الاجتماعي والاقتصادي والنفسي للمجتمع العربي وغيره من المجتمعات. فظهرت فجوة بين ما يريده المجتمع ، وما يريده لهم المعماريون ، حيث ينفرد هؤلاء بجميع القرارات التصميمية ، فأصبحت العمارة بعيدة عن الواقع البيئي للمجتمع ، بل متأثرة بشكل وآخر بالخلفية الأكاديمية ، المتأثرة بالأصل بأساليب ومناهج التصميم الحضري والمعماري الغربي.

و- هنالك من يعزي الأسباب الى التطور التكنولوجي والاقتصادي السريع ، وترجيح عامل السرعة في الإنجاز على بقية العوامل ، وكثرة المتغيرات والمستجدات ، مما يخلق ظروفا صعبة تتم خلالها العملية التصميمية .. وبالتالي لا يمكن أن نجد مكانا للنوعية المطلوبة التي يطمح إليها إلا في حالات استثنائية محدودة.

ز- شحة الأنظمة والضوابط التي تعزز من توجيه العمل المعماري والحضري للاستفادة من التراث العمراني بما يفضي الى إحداث موازنة في التواصل بين هذا التراث والتصاميم الحضرية المعاصرة[١٦].

ح- عدم وضوح المناهج الدراسية في المؤسسات الاكاديمية المعمارية ، عند تعلق الأمر بتعزيز التراث المعماري المحلي والتواصل معه[١٧] .. فبالرغم من وجود مواد دراسية تعني بالعمارة ، المحلية والتراثية تدرس نظريا لطلبة الهندسة المعمارية ، إلا أن الموضوع لا يلق الاهتمام الكافي والتأكيد عليه في الدروس التطبيقية ، ومنها المشاريع التصميمية التي تعطي للطلبة ، مما يؤدي الى حصول فجوة بين الجوانب النظرية والتطبيقية في العملية التعليمية ، ولهذه الظاهرة تأثيرات سلبية عديدة على مجمل مبدأ التواصل الحضاري.

٧- صيغ التواصل المحتملة ومقوماتها

أن السبل الكفيلة لتحقيق التواصل بين التراث العمراني والتصميم الحضري المعاصر تختلف وتتبلين في طروحاتها حسب المعيار أو المحور موضوع الدراسة ، والذي غالبا ما يكون متعلقا بسمات وخصائص العمارة التراثية ، حيث ظهرت العديد من الدراسات التي أوصت باتباع صيغ ومؤشرات معينة للتعامل مع النسيج الحضري من خلال استلهام خصائص التراث المعماري في التصميم الحضري المعاصر[١٨] ، حيث شمل ذلك على سبيل المثال مؤشرات تتعلق بمبدأ تدرج الفضاءات، والتصميم الحضري المتراص، وأعتماد المقياس الأنساني، ومفهوم النمو الشريطي للفعاليات والأنشطة المركزية، واستخدام فكرة الفناء الداخلي وغيرها.

أن الصيغ والمؤشرات التصميمية الواردة أعلاه قد تمثل بعض المبادئ الاساسية للممارسة المعمارية في التعامل والتواصل مع التراث العمراني ، ولكن ثمة دراسات تناولت الموضوع من جهة اخرى ، حيث استعانت بما يسمى بنظرية النظم (System Theory) وحاولت تحديد العوامل والمؤثرات المؤثرة في الشكل المعماري والتي من شأنها أن تحدد هويته أو خصوصيته، وضمن نظم تحوي[٢١] :

- العوامل الاجتماعية – الحضارية : مثل (دور التقاليد – تأثير الماضي في تكوين الحاضر والمستقبل – الوعي القومي – الدين – المناخ الفكري والفني .. الخ).
- العوامل الاقتصادية : (اليد العاملة – توظيف الموارد – اقتصاديات الموقع..الخ).
- العوامل الوظيفية : (الاحتياجات الانسانية الجسدية والنفسية والثقافية – وأنماط البناء لكل الاحتياجات).
- العوامل البيئية : (البيئة وخصوصياتها في المكان المحدد – العوامل المناخية).
- العوامل التكنولوجية : (تقنيات البناء – المواد الأولية والانهائية – الخطة التصنيعية الإنمائية).

وهنالك من المصممين من يرى بأن التواصل في العمارة لا يعبر عنه بصيغة إعطاء الشكل المادي (الفيزياوي) فحسب. وإنما هنالك حالة ثانية للشكل ، وهي الشكل المعنوي (التجريدي) : وهو مفهوم فكري للشكل الفيزياوي كتجريد له بضم الملامح التي تعود الى معنى معين .. وتمثل المعاني التي يتضمنها الشكل الدال محتويات الاطار المفاهيمي المشترك للحضارة، وتكون على مستويين : المحتوى المباشر والمحتوى الضمني .. وعملية اضفاء الخصائص المادية والمعالم لهذه المحتويات هي عملية تعبير ودلالة .. وتتحقق العمارة بادراك الشكل من خلال الحدود الناتجة من تركيب الكتلة والفراغ [٢٢] .

3- Portoghosi , Paolo ; "Post Modern," Rizzoli International Puplication; 1983 P.6.

٤- سعاد عبد علي مهدي (ترجمة) ، "التعقيد والتناقض في العمارة" ، من تأليف (روبرت فنتوري)، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٧ ، ص٢٦١.

٥- الطالب ، طالب (مصدر سابق) ص ١٣١.

٦- فتحي ، د.احسان ، " دور الجامعات في تأسيس القاعدة الفكرية للنقد المعماري" بحث مقدم الى الندوة حول فكرة انشاء مدرسة نقدية للهندسة المعمارية – بغداد– حزيران ١٩٩٠ ص ٢–٥.

7- Maslow, H. "Motivation and Personality" , Harper and Ron, New Yourk 1970, P.P 35-38.

٨- الحيدري ، د.علي–العبيدي ، عادل سعيد– الدوري، فراس. "التصميم الحضري– الهيكل والدراسات" كتاب (قيد الطبع) الجامعة التكنولوجية – ١٩٩٥.

9- Chadirji, Rifat "Towards A Regionalized International Architecture" KPI Limited, London, 1986, P.P 12-13.

10- Bunt and Jenks "Sign and Symbol in Architecture" John Wiley and Sons, Arch. U.S.A, 1980, P.74.

11- Rapoport, Amos, Culture and the Urban Order, in "The City in Cultural Context" Allen Unwin, 1984, P.55.

١٢- الراوي ،حسام–رزوقي ، غادة موسى ، "انعكاس الخصوصية الحضارية والاجتماعية الوطنية في تحقيق الخصوصية في العمارة" بحث مقدم الى ندوة الخصوصية الوطنية في العمارة العربية المعاصرة ، بغداد – ١٩٨٩ ، ص٢٠١.

١٣–محفوظ ، د.حسين علي ، "نظرة في التراث المعماري العربي واهمية خصائصه في تطوير الدراسات الهندسية المعاصرة"مجلة البناء الحضاري،عدد٩ السنة ٤–٣/١٩٨١،ص١٨–١٩.

١٤–مكداشي ، غازي ، "ازمة فن العمارة في الوطن العربي" مجلة البناء الحضاري ، العدد١٠ السنة٤ ، ت١/١٩٨١ ، ص٤٨–٤٩.

١٥–حمندي ، محمود ، "تراثنا المعماري وموقعه في العمارة العربية المعاصر" مجلة البناء الحضاري ، عدد٩ السنة ٤–٣/١٩٨١ ، ص١٧.

١٦–كمونة ، د.حيدر ، "اسلوب اعادة تخطيط المدينة العربية القديمة" مجلة البناء الحضاري، عدد٩ السنة ٤–٣/١٩٨١ ، ص١٦–١٧.

١٧–الطالب ، طالب حميد "العمارة العربية بين التراث والمعاصرة" ، مجلة البناء الحضاري، عدد٩ السنة ٤–٣/١٩٨١ ، ص١٥.

١٨–هادي ، عادل سعيد ، "استلهام خصائص التراث المعماري في التخطيط العمراني المعاصر" مجلة الهندسة والتكنولوجية– العدد٢ – المجلد١٤ – السنة ١٩٩٥ ، ص٢٨–٣٥.

19- Doxiadis, A., "General Approach to the Cultural Islamic Arab Aspects in Design" Tharthar New Town, Technical Report No.3 jan. 1986, P.14.

20- Dioxidis, A., "The Determinants of the Planning Process, The Formulation of the Master Plan and Conceptual Urban Design Elements" Tharthar New Town Repoert, Dec. 1985, P.P51-60.

٢١- ججو ، د.أسعد يعقوب ، "خصوصية العمارة العربية ودور البحث العلمي في تحقيقها" بحث مقدم الى ندوة الخصوصية الوطنية في العمارة العربية المعاصرة – بغداد ١٩٨٩ ، ص١٧٤-١٧٥.

22- Chadirji, R, "Op. Cit." , p9.

Continuity between Architectural Heritage and Contemporary Urban Design

Summery:

Architecture is a cultural outcome that incorporates man 's ideas, his past, present and future, through the use of symbols, forms and Architectural solutions to satisfy human needs.

In order to incorporate contemporary Architectural activities with time, place and comply with the society requirements, they have to achieve continuity with the rich Architectural heritage, considering the substantial fact exemplified by the connection of time annuluses: Past, Present and Future.

Due to rapid developments and changes that came upon the world ; the national, regional and local identity of the built environment has suffered from abatement and disappearance under the invasion of intruder architectural trends. Drifting to imitate these trends, (by few architects and urban designers) , dispute of its anomalies claiming to pursue continuity with modern and post – modern trends, has created a state controversy and confusion in local architectural environment, and losing for its identity, and disconnecting the continuity with architectural tradition. These issues represent the main problems this paper intends to discuss and solve.

Therefore, this paper aimes at identifying hindrances and problems which faces contemporary architecture in regard to the dialogue with tradition; examining the probable and possible ways in achieving it, through an analytical and renewed view for the concepts and principles of cultural continuity.

In addition, it describes the role of architects in expressing this context. Aiming at establishing primary steps to formulate our local identity and ambitions in preparing developed urban designs, that suits the spirit and requirements of this era, through continuity with the concepts, characteristics and signs of our rich architectural heritage, and with the meanings of our contemporary thinking.

Adel said Hadi Al-Obaidi
Architectural Department
University of Technology- Baghdad